مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية

اسم المقال: الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية بين الرازي (ت 606 هـ) والفراهي (ت 1348 هـ)
اسم الكاتب: صفاء الفلاح، أ.د. نصار نصار
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/10256
تاريخ الاسترداد: 2026/11/01 06:24 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية
المجلد 3 (4) – 2023 : 38- 50

Damascus University Journal of Legal Sciences Vol 3 (4)- 2023: 38 - 50

الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية بين الرازي (ت606هـ) والفراهي (ت1348هـ)

صفاء الفلاح[1]، أ. د. نصّار نصّار[2]

[1] طالبة دكتوراه– قسم علوم القرآن والحديث – كليّة الشريعة – جامعة دمشق.

[2] أستاذ دكتور في قسم علوم القرآن والحديث – كليّة الشريعة – جامعة دمشق.

الملخص:

يسلّط هذا البحث الضوء على الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، ويدرسها عند علمين بارزين من أعلام التفسير، اجتهدا في تلمّسها في تفسيرهما، وفهم السورة القرآنية على وفقها، هما: الإمام فخر الدين الرازي (ت606هـ) في تفسيره "مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، والمعلم حميد الدين الفراهي (ت1348هـ) في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان". كما يسعى إلى تقييم جهودهما في سبيل إرساء الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، وتفسير القرآن في ضوئها، وذلك باتباع المنهج الوصفي.

تاريخ الإيداع: 2021/10/11
تاريخ القبول:2022/5/29

حقوق النشر: جامعة دمشق –سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

الكلمات المفتاحية: الوحدة الموضوعية – المناسبات – نظام القرآن – نظام السورة – عمود السورة.

ISSN: 2789-7621 (online)
https://journal.damascusuniversity.edu.sy/

Thematic unity of the Qur'anic surah Between Al-Razi (d. 606 AH) and Al-Farahi (d. 1348 AH)

Safaa Al Falah[1] , Prof. Nassar Nassar[2]

[1] Graduate Student [PhD], Department of Quran and Hadith Sciences, Faculty of Sharia, University of Damascus.
[2] Professor in the Department of Quran and Hadith Sciences - Faculty of Sharia - Damascus University..

Abstract:

This research shades lights on the thematic unity of the Qur'anic surah, and studies it through two prominent scholars of interpretation, who strived to discover it in their exegeses, and the understanding of the Qur'anic surah according to its jurisprudence, tried to understand the Quranic surah: Imam Fakhr al-Din al-Razi (d. 606 Ah)in his exegesis "keys of the unseen", and Hamid al-Din al-Farahi (d. 1348 Ah) in his exegesis "the order of the Quran and interpreating the Furquan by the Furquan"

It also seeks to evaluate their efforts to establish thematic unity in the Noble Qur'an, and to interpret the Qur'an in its light, by using the descriptive method.

Key Words: Thematic Unity - Relevances - The Order Of The Qur'an - The Order Of The Surah - The Surah Column.

Received: 2021/10/11
Accepted:2022/5/29

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC **BY- NC-SA**

بسم الله الرحمن الرحيم

1- المقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمّد سيد الخلق والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، أمّا بعد:

فقد نزل القرآن الكريم منجّماً على قلب النبي الكريم على مدى ثلاث وعشرين سنة، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (106)﴾ [الإسراء] على حسب أحداث ووقائع متفرّقة مختلفة، ثمّ وضعت كل آية أو مجموعة آيات في موضع خاص بها من سورة معينة تبيّن لبعض المفسرين والباحثين أنّها تعالج موضوعاً واحداً متكامل الجوانب والأطراف، وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم سارع المفسرون إلى إبرازه، واجتهدوا في الكشف عن أسراره، ومنهم الإمام فخر الدين الرازي (ت606هـ)[1] في تفسيره "مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)"، والمعلم حميد الدين الفراهي (ت1348هـ)[2] في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان".

2- أهميّة البحث:

تأتي أهميّة هذا البحث من أهميّة موضوعه الذي يدرس الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وإظهار جهود المفسِّرَين: الرازي والفراهي في هذا المجال.

3- منهج البحث:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي المعتمد على مسح المعلومات المتعلّقة بمشكلة البحث عند المفسِّرَين، ثمّ القيام بتحليلها ومناقشتها ومقارنتها والاستنتاج منها.

4- الدراسات السابقة: يوجد عدد من الدراسات التي لها علاقة بموضوع البحث، ولكنّها لم تقدّم رؤية متكاملة تجمع بين جهود الرازي والفراهي في الوحدة الموضوعيّة للسورة القرآنيّة مع المقارنة والاستنتاج المناسبين، ويذكر منها:

- "التناسب في تفسير الإمام الرازي دراسة في أسرار الاقتران": اطروحة دكتوراه للباحثة منال مبطي حامد المسعودي، بإشراف محمد محمد أبو موسى، كلية الآداب، جامعة أم القرى، السعودية، 2010م.
- "الشيخ عبد الحميد الفراهي حياته وجهوده في مجال الدراسات القرآنية": بحث منشور من قبل الباحث محمد فريد راوي بن عبد الله، JSAA VOL.2 BIL.2 (2015).

5- خطة البحث:

يشتمل هذه البحث على مقدّمة، وتمهيد، ومطلبين، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي: المقدّمة: تتضمن أهمية البحث، والمنهج المتبع فيه، وخطة البحث.

---

1 فخر الدين محمّد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، أبو عبد الله القرشي البكري التيمي الطبرستاني الرازي ابن خطيب الري الشافعي المفسّر المتكلّم، ولد (544هـ) وتوفّي (606هـ)، له تصانيف كثيرة في فنون عديدة، منها: "التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب" و"المحصول في أصول الفقه". ينظر: ابن خلكان، أحمد، 1968م- وفيات الأعيان وأنباء الزمان. تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، 5/269-270. السيوطي، عبد الرحمن، 1396هـ- طبقات المفسرين. تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة: القاهرة، مصر، 100.

2 هو حميد الدين أبو أحمد عبد الحميد بن عبد المحسن الأنصاري الفراهي الهندي، ولد عام 1864م، وكان أنموذجا مشرّفاً للعالم المسلم، الجامع بين التّبحر في العلوم العربية والدينيّة، والاطلاع الواسع على العلوم العصريّة والطّبيعية، وتوفّي رحمه الله سنة 1930م، وقاربت مصنّفاته الخمسين عدداً، منها: "نظام القرآن"، و"مفردات القرآن"، و"دلائل النظام" . انظر: https://archive.islamonline.net/?p=5777

تمهيد: مفهوم الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.

المطلب الأوّل: جهود الرازي في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.

المطلب الثاني: جهود الفراهي في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.

خاتمة: تتضمن نتائج البحث.

6- تمهيد: مفهوم الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

تولي الدراسات القرآنية في العصر الحديث اهتماماً ملحوظاً بمفهوم الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، والذي يعدّ الغاية الكبرى، والثمرة المرجوة من نوع تفسيري جديد هو: "التفسير الموضوعي"[3].

فهناك تعاريف عديدة للوحدة الموضوعية ناتجة عن تعدّد الرؤى والمناهج للدارسين المعاصرين، فبعضهم من خصّها بالسورة القرآنية، وبنى عليها التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، وآخرون بالموضوع القرآني، وبنوا عليها التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، أو بالمصطلح القرآني، وبنوا عليها التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني، ولا تزال هذه الألوان التفسيرية للتفسير الموضوعي في طور التقعيد النظري والتطبيقي إلى الآن.

ويتم في هذا البحث دراسة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وتعني: "أنّ كلّ سورة من سور القرآن الكريم تناولت موضوعاً معيّناً تطرحه وتعالجه، وتكون به مميزة."[4] أي أنّ السورة القرآنية تدور على موضوع واحد مهما تعددت موضوعاتها الجزئية، فهي كما وصفها البقاعي (ت885هـ) "كالشجرة النضيرة العالية والدوحة الأنيقة الخالية المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدرر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أوّلها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كلّ سورة دائرة كبرى مشتملة على الدوائر الغر، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها وحسن تواصل ثمارها وأغصانها."[5]

ويُنبَّه هنا إلى أنّه "لا ينبغي أن تعرف الوحدة الموضوعية بأنّها إجمال ما في السورة من موضوعات ومقاصد وأهداف، حتّى إذا ما جاء المفسّر إلى تفسير السورة انشغل بتفاصيل التفسير التحليلي... وليست وحدة الموضوع في السورة تلك التي تقوم على مجرّد المناسبة بين الآيات المختلفة الموضوعات... لأنّ المناسبات حلقة في وحدة الموضوع في السورة وخطوة في منهجية البحث فيها."[6]

7- المطلب الأول: جهود الرازي في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية:

تظهر جهود الرازي في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية من خلال العناصر الآتية:

7-1: اهتمام الرازي بـ"علم المناسبات":

اهتم الرازي بعلم المناسبات[7] فأعطاه مشروعية كاملة، وعدّه أصلاً منهجياً في دراسة السورة القرآنيّة ونشره بين الناس مقارنة مع القاضي أبو بكر بن العربي (ت543هـ) الذي اهتدى إليه، ولكنّه رجع عنه لمّا لم يجد له حملة، ورأى الخلق بأوصاف البطلة كما

3 له عدّة تعريفات، منها: "الكشف الكلّي عن مراد الله ﷻ في قضيّة قرآنيّة بحسب الطّاقة البشريّة." رشواني، سامر عبد الرحمن، 2009م- منهج التّفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقديّة. دار الملتقى، حلب، سوريا، 45.

4 الدغامين، زياد، 1995م- منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. دار البشير، عمان، 95.

5 البقاعي، برهان الدين، د.ت- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. تحقيق: عبد السميع حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، 149/1.

6 الدغامين، 1995م، 108-109.

7 علم تُعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن." مسلم، مصطفى، 2000م- مباحث في التّفسير الموضوعي. ط3، دار القلم، دمشق، 58. يشار هنا إلى توجّه العناية بهذا العلم بدءاً من القرن الرابع الهجري على يد أبي بكر النيسابوري (ت324هـ)، الذي كان يقول على الكرسي إذا قُرئ عليه: "لمَ جُعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل

يقول: "ارتباط آي القرآن بعضِها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علمٌ عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه، فلمّا لم نجد له حملة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"[8].

ويترتب على العلم بالمناسبات عند الرازي قيمتان:

أوّلاً: قيمة دلالية إذ كان يقول إنَّ: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط."[9] أي تكمن في الترتيبات والروابط معان دقيقة إضافية تزيد من معان النص، لا يتنبه إليها إلّا من تعمق بالنص؛ وقد يغفل عنها المفسر العادي.

ثانياً: قيمة إعجازية التفت إليها لدى تفسيره لسورة البقرة، إذ يقول: "ومن تأمّل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها عَلِمَ أنّ القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه، ونظم آياته، ولعلّ الذين قالوا إنّه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أنّي رأيت جمهور المفسّرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبّهين لهذه الأمور."[10] وكذلك أشار إليها البقاعي بعده في "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" إذ يقول: وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكّن من اللب، وذلك أنّه يكشف أنّ للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب."[11]

7-2: إظهار الرازي الملامح الترابطية التناسبية داخل السورة القرآنية

تتبع الرازي الروابط والتناسب على مستويات عدّة داخل السورة القرآنية[12]، وأهمها:

أوّلاً: التناسب في الآية الواحدة، ومثاله: التناسب في الترتيب في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ [النساء/135] إذ قُدِّم الأمر بالقيام بالقسط على الأمر بالشهادة؛ لوجوه ذكرها الرازي: "الأول: أنّ أكثر الناس عادتهم أنّهم يأمرون غيرهم بالمعروف فإذا آل الأمر إلى أنفسهم تركوه ... فالله سبحانه نبّه في هذه الآية على سوء هذه الطريقة، وذلك أنّه تعالى أمرهم بالقيام بالقسط أولاً، ثم أمرهم بالشهادة على الغير ثانياً تنبيهاً على أنّ الطريقة الحسنة أن تكون مضايقة الإنسان مع نفسه فوق مضايقته مع الغير. الثاني: أنّ القيام بالقسط عبارة عن دفع ضرر العقاب عن الغير، وهو الذي عليه الحق، ودفع الضرر عن النفس مقدّم على دفع الضرر عن الغير. الثالث: أنّ القيام بالقسط فعل، والشهادة قول، والفعل أقوى من القول."[13]

هذه السُّورة إلى جنب هذه السُّورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة" الزركشي، بدر الدين محمد، 1957م- البرهان في علوم القرآن. الطبعة الأولى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، 36/1.

8 المصدر نفسه، 36/1.

9 الرازي، فخر الدين محمد، 2000م- مفاتيح الغيب. الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 113/10.

10 المصدر نفسه، 112/7. ويشار هنا إلى أنّ علماء الإعجاز كالخطابي (ت388هـ) والباقلاني (ت403هـ) وغيرهم تكلموا عن إعجاز نظم القرآن بشكل عام، ولكن التركيز على أنّ هذا الترتيب له قيمة إعجازية، وضمه إلى دائرة الإعجاز تحسب للرازي.

11 البقاعي، برهان الدين، 2003م- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 8/1.

12 توسّعت الباحثة منال مبطي حامد المسعودي في تفصيلها، وذلك في الباب الأول (التناسب في بناء السورة) من اطروحتها، ينظر: المسعودي، منال مبطي حامد، ٢٠١٠م- التناسب في تفسير الرازي. الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة، 79-287.

13 الرازي، 2000م، 58/11-59.

ثانياً: التناسب بين الآيات، ومثاله اجتهاد الرازي في بيان مناسبة قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16)﴾ [القيامة] لما قبله وما بعده في قوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (15) لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19)﴾ [القيامة] فذكر وجوهاً ستة لهذه المناسبة، يذكر منها هنا: "يحتمل أن يكون الاستعجال المنهي عنه إنما اتفق للرسول عليه السلام عند إنزال هذه الآيات عليه، فلا جرم نهي عن ذلك الاستعجال في هذا الوقت، وقيل له: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ وهذا كما أنّ المدرس إذا كان يلقي على تلميذه شيئاً، فأخذ التلميذ يلتفت يميناً وشمالاً، فيقول المدرس في أثناء ذلك الدرس: لا تلتفت يميناً وشمالاً، ثم يعود إلى الدرس؛ فإذا نقل ذلك الدرس مع هذا الكلام في أثنائه فمن لم يعرف السبب يقول: إن وقوع تلك الكلمة في أثناء ذلك الدرس غير مناسب لكن من عرف الواقعة علم أنّه حسن الترتيب."[14]

ثالثاً: التناسب بين مقاطع الآيات، ففي أثناء تفسير الرازي لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123)﴾ [آل عمران] بيّن التناسب بين مقطع الآيات التي ذكرت فيها قصة أحد وبدر، إذ يقول: "في كيفية النظم وجهان الأول: أنّه تعالى لما ذكر قصة أحد أتبعها بذكر قصة بدر؛ وذلك لأنّ المسلمين يوم بدر كانوا في غاية الفقر والعجز، والكفار كانوا في غاية الشدة والقوة، ثم إنّه تعالى سلّط المسلمين على المشركين فصار ذلك من أقوى الدلائل على أن العاقل يجب أن لا يتوسل إلى تحصيل غرضه ومطلوبه إلّا بالتوكل على الله والاستعانة به، والمقصود من ذكر هذه القصة تأكيد قوله: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ [آل عمران/120]، وتأكيد قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران/122]. الثاني: أنّه تعالى حكى عن الطائفتين أنهما همّتا بالفشل، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يعني من كان الله ناصراً له ومعيناً له فكيف يليق به هذا الفشل والجبن والضعف، ثم أكد ذلك بقصة بدر فإن المسلمين كانوا في غاية الضعف، ولكن لما كان الله ناصراً لهم فازوا بمطلوبهم وقهروا خصومهم، فكذا ههنا فهذا تقرير وجه النظم."[15]

رابعاً: التناسب بين بداية السورة ونهايتها، كما في سورة النساء التي ختمت بقوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (176)﴾ إذ يقول الرازي عند وصوله إلى تفسير هذه الآية: "اعلم أنه تعالى تكلم في أول السورة في أحكام الأموال وختم آخرها بذلك ليكون الآخر مشاكلاً للأول."[16]فبيّن بذلك التناسب بين أول السور وختامها.

ولا بدّ من القول إنّ الرازي في تتبعه للروابط والتناسب داخل السورة القرآنية قد تابع في ذلك جهود من سبقه كالإمام أبي بكر النيسابوري (324هـ)، والإمام الباقلاني (ت 403هـ).

وتنبّه إليه من جاء بعده – بدرجات متفاوتة – كالإمام البقاعي (ت 885هـ) الذي أبدع في تلمّس التناسب القرآني في كتابه "نظم الدرر في تناسب الآي والسور"، والإمام السيوطي (ت911هـ) الذي أفرد له تصنيفاً بعنوان "مراصد المطالع الطالع في تناسب المطالع والمقاطع".

14 المصدر نفسه، 196/30.
15 الرازي، 2000م، 182/8.
16 المصدر نفسه، 96/11.

فالتناسب بين الآيات بعضها مع بعض وإن كان لا يكشف عن كون الكلام شيئاً واحداً مستقلا بنفسه، إلّا أنّه لا يمكن الوصول إلى الوحدة الموضوعية للسورة دون ملاحظته.

7-3: بيان الرازي الوحدة الموضوعية لبعض السور القرآنية في تفسيره "مفاتيح الغيب"

- أدرك الرازي الموضوع الكلي أو القضية الناظمة في بعض السور القرآنية، ونلمح ذلك مثلاً في سورة النساء التي حوت تكاليف شرعية متنوعة، فموضوع هذه السورة كما يفهم من كلام الرازي يدور حول قضية التكاليف، إذ يقول: "اعلم أن هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكاليف، وذلك لأنّه تعالى أمر الناس في أول هذه السورة بالتعطف على الأولاد والنساء والأيتام والرأفة بهم وإيصال حقوقهم اليهم وحفظ أموالهم عليهم، وبهذا المعنى ختمت السورة وهو قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء/176] وذكر في أثناء هذه السورة أنواعا أخر من التكاليف، وهي الأمر بالطهارة والصلاة وقتال المشركين، ولما كانت هذه التكاليف شاقة على النفوس لثقلها على الطباع لا جرم افتتح السورة بالعلّة التي لأجلها يجب حمل هذه التكاليف الشاقة، وهي: تقوى الرب الذي خلقنا والإله الذي أوجدنا فلهذا قال: ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مّن نَّفْسٍ واحِدَةٍ﴾ [النساء/1]"[17]

فيلحظ هنا أنّ الرازي يجسّد الارتباط الوثيق بين مطلع السورة وخاتمتها اللذان يشتركان في الموضوع نفسه من جهة، وبين مقاطع السورة التي تشترك مع مطلعها وخاتمتها في الموضوع نفسه من جهة أخرى، وهذا يدل على أنّ الرازي مدرك لتحقق الوحدة الموضوعية في السورة بأكملها.

- كما أنّ الرازي حدّد الآية المركزية أو ما يسمّى بؤرة النص - في بعض السور القرآنية - التي يدور حولها الموضوع أو القضية الكلّية، ثم فسّر السورة بأكملها في ضوئها، كما فعل في سورة فصّلت مثلاً إذ يقول: "وقد ظهر من كلامنا في تفسير هذه السورة أنّ المقصود من هذه السورة هو ذكر الأجوبة عن قولهم: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِى ءاذانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ فتارة ينبّه على فساد هذه الطريقة، وتارة يذكر الوعد والوعيد لمن لم يؤمن بهذا القرآن، ولم يعرض عنه، وامتدّ الكلام إلى هذا الموضع من أول السورة على الترتيب الحسن، والنظم الكامل."[18]

ثمّ ذكر أنّ الآية ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصّلت/44] متعلّقة بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ [فصّلت/5]، وأنّ "كلّ من أنصف ولم يتعسّف علم أنا إذا فسّرنا هذه الآية على الوجه الذي ذكرناه صارت هذه السورة من أولها إلى آخرها كلاماً واحداً منتظماً مسوقاً نحو غرض واحد."[19]

بالنظر إلى ما سبق فإنّه لا يمكن وصف منهجيّة الرازي في تتبّعه للمناسبات بأنّها منهجيةٌ خطية إلى حد ما كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين المعاصرين، إذ يقول: إنّ الرازي "يربط بين الآية الأولى في سورةٍ بالآية الثانية فيها، التي يقوم بربطها هي الأخرى بالآية الثالثة، وهكذا حتى يصل إلى نهاية السورة. وبقيام الرازي بهذا العمل، يحصر انتباهه، في كلّ مراحل عمله، بآيتين فقط (أو مقطعين اثنين). وفي الحقيقة، إنّ هذه المنهجية، التي تهدف إلى مجرّد إقامة روابط مرتجلة بين الآيات، تتجاهل الغابة لصالح

17 الرازي، 2000م، 128/9.
18 المصدر نفسه، 115/27.
19 المصدر نفسه، 116/27.

معرفة أشجارها؛ تتجاهل السورة لصالح معرفة آياتها. وهكذا، فقد كان من الصعوبة بمكان أن تُفضي هذه المنهجية إلى تطوير مقاربة عضويّة للسور القرآنية."[20]

8- المطلب الثاني: الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية عند الفراهي:

أسهم بعض العلماء والمفسرين في العصر الحديث في الكشف عن الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وتفسير السورة في ظلّها، مثل محمد عبد الله دراز (ت1377هـ)، ومحمد عزة دروزة (ت1404هـ)، وعبد الرحمن الميداني (ت1425هـ)، ويأتي في مقدمة هؤلاء المفسرين حميد الدين الفراهي (ت1348هـ) في تفسيره الذي توفّي قبل إتمامه "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" إذ يتضمن هذا التفسير تطبيقاً لنظريته في نظام القرآن على سور بأكملها.

ويذكر هنا أنّ الفراهي أوّل شخصية رائدة في العصر الحديث سعت إلى تأسيس علم جديد هو: "علم نظام القرآن" الذي يبحث في وحدة النص القرآني، وألّف في ذلك مجموعة من الكتب أهمّها: "دلائل النظام"، و"فاتحة نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" التي طبعت في مقدمة تفسيره، و"التكميل في أصول التأويل".

وتتجلّى جهود الفراهي في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية من خلال الآتي:

8-1: الضبط النظري للمفاهيم الكاشفة عن وحدة النص القرآني بشكل عام ووحدة السورة القرآنية وموضوعها بشكل خاص، ومن هذه المفاهيم:

أولاً: نظام القرآن: ومراد الفراهي منه هو "أن تكون السورة وحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتي قبلها أو بعدها على بُعد ما، كما قدمنا في نظم الآيات بعضها مع بعض، فكما أن الآيات ربما تكون كالجمل المعترضة، فكذلك السور قد تكون كالجمل المعترضة، وعلى هذا الأصل ترى القرآن كلّه كلاماً واحداً ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر."[21]

ثانياً: نظام السورة: ويقصد به:" أن تظهر لكل سورة صورة مشخّصة، فإن معاني الكلام إذا ارتبط بعضها ببعض وجرت إلى عمود واحد، وكان الكلام ذا وحدانية، فحينئذٍ لا يكون إلا وله صورة مشخصة."[22] فالنظام هو الذي يعطي السورة وحدانيتها التي بها صارت سورة كاملة مستقلة بنفسها، ذات عمود يمثل موضوعاً كلّياً تجري إليه أجزاء السورة بأكملها.

ثالثاً: عمود السورة وهو: "جماع مطالب الخطاب، فإليه مجرى الكلام، وهو المحصول والمقصود منه. فليس من أجزائه الترتيبية، ولكنه يسري فيه كالروح والسر، والكلام شرحه وتفصيله، وإنتاجه وتعليله وربما يحس إخفاؤه، فلا يطلع عليه إلا بعد استيفاء الكلام والتدبر فيه."[23]

رابعاً: الوحدانية، التناسب والترتيب: بيّن الفراهي مضمون هذه المفاهيم لديه، وفروقها الدلالية عن طريق ضرب المثال التوضيحي[24]. فتحديده للوحدانية يفهم من قوله إنّ: " السورة لها نظم خاص، يجعل الكلام ذا وحدانية. وتمام الحسن والبلاغة إنّما

20 مير، مستنصر، 2017م- السورة وحدة نصيّة: تطور في تفسير القرآن في القرن العشرين، ترجمة: حازم محي الدين، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم الدراسات الدينية، الرباط، 5.

21 الفراهي، حميد الدين، ١٣٨٨هـ- دلائل النظام. المطبعة الحميدية، الهند، 75.

22 المصدر نفسه، 75.

23 المصدر نفسه، 73.

24 ينظر: المصدر نفسه، 76.

هو بتلك الوحدانية كما ترى ذلك في كل شيء ركب بعضه ببعض حتى صار شيئاً واحداً"[25] أي أنّ الوحدانية هي الغرض العام للسورة الذي يضمن وحدة أجزائها جميعاً، والفرق بينها وبين التناسب والترتيب، كما يقول: "الكلام يتفاوت من جهة الوحدانية، والمناسبة والترتيب، فيمكن أن يكون ذا وحدانية، ولكن خاليا عن التناسب والترتيب. مثلا إذا ألفت كتاباً في النصائح وقد جمعت فيه أقوالا كثيرة مما يتعلق بالدين والأخلاق والمعاشرة والسياسة، فإن وضعت كل ذلك من غير ترتيب لم يكن خاليا عن وحدانية ولو ضعيفة. لما أنه كله في النصائح فله نوع من الوحدانية والشخصية المميزة، ولكنه عديم المناسبة والترتيب. فأما إذا قسمته إلى أبواب، مثلا باب في الدين، وباب في الأخلاق...ووضعت كل قسم من الأقوال في بابه، صار الكتاب متناسب الأجزاء مع بقائه على ضعف الوحدانية. فأما إذا نظمت نصائح كل قسم في قصة جامعة ... صار كل باب شديد الوحدانية، مع بقاء الكتاب على ضعف الوحدانية. فأما إذا راعيت حسن الترتيب والمناسبة في تقديم الأبواب بعضها على بعض، ومع ذلك جعلت البيان في كل باب بيانا واحداً جاريا إلى موضوعه مع تناسب في أجزاء الكلام، صار الكتاب ذا نظام كامل. وبالجملة فلا بد لحسن النظام من أن يكون الكلام: حسن الترتيب، حسن التناسب، قوي الوحدانية."[26] فالتناسب إذاً عند الفراهي يتمثّل بالعلاقات المعنوية التي تضمن التناسب بين جزئيات كل مقطع نصي له موضوع واحد.

وأما الترتيب فهو العلاقات التي تضمن الانسجام بين المقاطع النصية التي تؤلف بمجموعها الوحدات الدلالية الكبرى للسورة.

8-2: تحديد الفراهي الغاية والمقصد من دراسة نظام السورة القرآنية، فإنّ فهم المعنى القرآني فيها، والترجيح بين التأويلات المحتملة بالتالي التصدي لكل محاولات التلاعب في النص القرآني متوقّف على اكتشاف هذا النظام، إذ يقول: "فمن نظر في مطالب الآيات على حدتها، ولم يتأمّل في مناسبة أجزاء السورة، عميت عليه الحكمة وحسن نظامها، من جهة البلاغة والاستدلال. بل لم يجد مخرجاً عند احتمال المعنين، بل ربما اختار التأويل الباطل، لما تعلق به بعض رأي زائغ أو مذهب مرجوح أو عقيدة فاسدة فكان في ظلمات بعضها فوق بعض وأشد وأفظع من كل ذلك أنه يفتح للمبطلين والمبتدعة أبوابا لتأويلاتهم الفاسدة، فترى منهم من يؤول القرآن فيضل الناس بمحض رأيه، أو يمني نفسه أنه أعلم بحقائق الأمور وأسرار الدين.

ولكن من تدبر في القرآن ونظمه الحكيم، اطلع على حسن نظامه، وإعجاز بلاغته، ودقائق حكمته، وفُتح عليه باب عظيم من المعاني، وكان على نور عند احتمال التأويلات، فاختار ما هو الحق الواضح، ولم يتمجمج في نبذ الباطل..."[27]

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الفراهي اعتمد في اكتشافه نظام السورة على التَّدبُّر العميق بها، وتتبُّع ارتباط أجزائها بالموضوع الكلِّي لها، فهو أولى الأدوات والوسائل العديدة التي تساعد على معرفة نظام القرآن، فإنّ "أكثر الحكم مخبوءة في طيَّات دلالات النِّظام، وهي لا تبرز إلا عن طريق التدبُّر العميق المقرون بعقيدة راسخة، وتمكُّنٍ كبيرٍ في علوم اللسان العربيِ. ومن هنا تنبع أهمية التدبُّر الذي أمرنا الله تعالى بالقيام به."[28]

25 المصدر نفسه، 76.
26 المصدر نفسه، 76-77.
27 المصدر نفسه، 42.
28 المصدر نفسه، 42

3-8: نظام السورة القرآنية عند الفراهي يقوم على أجزاء تركيبية تنقسم إلى أجزاء إجمالية وأجزاء تفصيلية.

أولاً: الأجزاء الإجمالية وتتكون من: العمود، والتمهيد، والمنهج، والخاتمة.

أمّا العمود فقد تم بيان المقصود منه سابقاً، ويذكر هنا كيفية استنباطه، فهو كما يقول الفراهي: "أصعب المعارف، ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص، وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح العمود كفلق الصبح، فيضيء به السورة كلها، ويتبين نظامها، وتأخذ كل آية محلها الخاص، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها.."[29]

وأمّا التمهيد: فهو مقدمة الكلام التي تتضمن القصد منه، وتناط به وظيفة شدّ انتباه السامع حتى يتابع بقية الكلام، إذ يقول الفراهي: "فأكثر ما يُحتاج إليه في الكلام إذا خوطب به من لعله يصعب عليه، فيقدم بيان لإلقاء ما هو المقصود. وهذا هو الأصل فيه. ولكنه يأتي على أنحاء لا تُحصى، ومقادير متفاوتة، ومحاسن غير محصورة. وملاك أمره ذكر كل ما له تأثير في قلب السامع، وعقله حتى يصغى ويستمع، ولا تستحسن إطالته، حتى يصير أكثر أو قريبا من المقصود."[30]وأمّا المنهج: فهو "مساق الكلام، وهو إما خطاب إلى النبي أو إلى المؤمنين أو إلى المنكرين أو جامع."[31] فالمنهج إذاً هو التوجّه بالكلام إلى مخاطب محدّد بأسلوب مناسب.

وأمّا الخاتمة فلم يشرحها الفراهي[32]، لكن يفترض أن تكون نهاية الكلام.

ثانياً: الأجزاء التفصيلية ويذكر منها الفراهي ثمانية هي: 1- التعليل، 2- التفريع ببيان الفروع، 3- التأصيل ببيان الأصول، 4- التفصيل لمجمل، 5- التمثيل، 6- إيراد المشابه، 7- إيراد المقابل والضد، 8- التنبيه بالوعد والعيد والتحسين والتقبيح.[33]

3-8: مثال تطبيقي للمعالم التي اتبعها الفراهي في تفسيره للسورة القرآنية، وبيان نظامها ووحدتها الموضوعية، ويتم عرض ذلك في سورة التحريم.

نظام هذه السورة يتضمن تمهيداً بُدِأَ الكلام فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، بأمر يظنُّ هيناً، وهو تحريم كثير من الناس طيبات أحلها الله لهم ظنّاً بأنّهم يتقربون بذلك إليه، ولكنهم في حقيقة الأمر يخالفون الفطرة في هذا الدين القيم، فلو جاز ذلك في الدين لجاز بالرسول وأهل بيته. وهذا في الآيات (1-5) من السورة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (1) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (2) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (4) عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (5)﴾

---

29 المصدر نفسه، 77، ويقول الفراهي في هامش الصفحة 42 عندما حدد المقصود منه: "العمود كالحد المنطقي لا يطلع عليه بالصحة إلا بعد رجع النظر في النظم، وعلم روابط الجملات، وإحاطة المطالب جملة. ثم إن وجدت العمود المفروض أوفق بالنظم، وأقرب إلى زيادة التوضيح، وحسن التنظيم، فقد أصبت، وإلا فلا بدّ من طلب عمود آخر)" أي لا يُصار إلى تحديد العمود إلا بعد اكتشاف سائر الروابط الجزئية في السورة، من تناسب وترتيب، ويجب أن لا نكتفي بتحديده بل يجب اختبار من خلال اختبار قدرته على توحيد معاني السورة، وبيان مدى قدرته على فهمها جميعا، وإذا عجز عن ذلك، فإنه يصار إلى اكتشاف عمود آخر، وهكذا. وكأنه يشير بذلك بأن اكتشاف عمود السورة هو بمثابة فرضية تحتاج إلى اختبار ربما عدة مرات حتى يتم اعتمادها.

30 المصدر نفسه، 73.
31 المصدر نفسه، 74.
32 المصدر نفسه، 74.
33 المصدر نفسه، 72.

ويلي هذا التمهيد المنهج ومساق الكلام فيه: توجيه الخطاب إلى المؤمنين وذلك في الآية (6) و(8) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)﴾ وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (8)﴾. وتوجيهه إلى الكفّار في الآية (7) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (7)﴾ وتوجيهه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الآية (9) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (9)﴾

والخاتمة هنا إنهاء الكلام بضرب الله عز وجل المثل للذين كفروا وللذين آمنوا، وذلك في الآيات (10–12) في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آَمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (12)﴾

أمّا عمود السورة فهو كما صرح به الفراهي "الاحتساب والتشمير له"[34]، وهو من مهمات الدين، فكما "أوجب هذا النصح والتشمير على المؤمنين بأنفسهم وأهليهم فكذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمجاهدة الكفار والمنافقين، والغلظة عليهم، لعلهم يتوبون في الدنيا وإلا فمأواهم جهنم."[35] والأمر الثاني في الاحتساب كما يقول الفراهي: هو شدة التزام الاستقامة على الاعتدال، فدين الفطرة هو الاعتدال بين الفسق والرهبانية.[36]

ومن الأجزاء التفصيلية التي توسّع الفراهي في شرحها وربطها بالسورة: التمثيل، ومنه ذكر الوقائع وضرب الأمثال التي يتوصل من خلالها إلى الحكمة والاستنباط.

فذكر في الآيتين (1و2) جزئيات الوقائع، والفوائد الكلية المستنبطة، ومنها "أنّ ابتغاء مرضاة الأزواج من السير المحمودة حتى يجرّ إلى ضرر ديني، ... ومنها أن تحلة اليمين واجبة إن كانت خلاف دين الله... ومنها ما ذكرنا من إبطال الرهبانية... ومنها أنا علمنا عناية الرب بهذه الأمة، وإكمال دينه بهذه البعثة فلا يترك أهون شيء حسب الظاهر، لنعلم أن ما هو هين في عيوننا فهو بحسب نتائجه عظيم..."[37].

وبين شأن نزول الآيات (3–5) حسب جزئيات الواقعة والفوائد الكلية منها، وهي سبع "فبعد ما ذكر من خلقه العظيم ابتغاء مرضاة أزواجه، ذكر جعل النبي صلى الله عليه وسلم إياهن مواضع سرّه. وهذا من أعظم فرائض المحبة بين المرء وأهله... ثم تحت ذلك بين الله تعالى ما يجب عليهن من المحافظة على السر... وأيضاً الرفق بالملام، لا سيما بأزواجنا..."[38]

34 الفراهي، حميد الدين، 2008م– نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان. الطبعة الأولى، المطبعة الحميدية، الهند، 184.
35 المصدر نفسه،184.
36 ينظر: المصدر نفسه، 185.
37 المصدر نفسه، 190.
38 المصدر نفسه،192.

ثم شرح الفراهي الأمثال الأربعة في السورة[39]، ثم ربطها وتطبيقها، بقوله: "فاعلم أن المثل الأول والثاني في الكفار، وإنما قدمهما لربطهما بما سبق من ذكر المنافقين، وليختم السورة بالقنوت لمصلحة بيناها ... فعلمنا الله تعالى بهذه الأمثال ما ينبغي لنا من الطاعة الصادقة والعبودية الكاملة مع المحبة والطوع وبذل النفس والمال... والمثل الثالث والرابع في المؤمنين؛ فأمّا الثالث فقد بين الله تعالى فيه التبتل والرغبوت إلى المولى الحق.. وأمّا المثل الرابع فصرح بكمال النعمة..."[40] وأخيراً ربط الأمثال الأربعة بقصة السورة وبشأن نزولها الخاص[41].

9- نتائج البحث:

توصَّل البحث إلى أنّ كلا المفسِّرَين (الرازي والفراهي) لهما جهود مهمّة في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية مع بعض المفارقات بينهما: فالرازي كان مدركاً للوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، إلّا أنّ جهوده فيها ظهرت على شكل ملامح عامة مبثوثة في كامل تفسيره "مفاتيح الغيب" وتتلخص باهتمامه بـ"علم المناسبات"، وإظهاره الملامح الترابطية التناسبية داخل السورة القرآنية، وبيانه الوحدة الموضوعية لبعض السور القرآنية. وقد مثّلت هذه الملامح حجر الأساس الذي ارتكز عليه من بعده من المفسرين المعاصرين وفي مقدّمتهم الفراهي الذي سعى إلى إثبات نظريته في نظام القرآن، فقد قدّم في سبيل ذلك جهوداً نظرية وتطبيقية في دراسة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، تمثلت بكتاب "دلائل النظام"، وتفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"، إذ قام في كتابه "دلائل النظام" بالضبط النظري للمفاهيم الكاشفة عن وحدة النص القرآني بشكل عام ووحدة السورة القرآنية وموضوعها بشكل خاص، وحدّد الغاية والمقصد من دراسة نظام السورة القرآنية في تفسيره "نظام القرآن" فقد فسّر جميع السور القرآنية الواردة فيه بناءً على عمودها أي الشيء الجامع الذي به رباط السورة بأسرها.

معلومات التمويل: هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).
Funding information: this research is funded by Damascus university – funder No. (501100020595).

39 ينظر: المصدر نفسه، 203-206.
40 المصدر نفسه، 206-208.
41 ينظر: المصدر نفسه، 208-209.

المراجع:

1. البقاعي، برهان الدين، د.ت- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. تحقيق: عبد السميع حسنين، مكتبة المعارف، الرياض.
2. البقاعي، برهان الدين، 2003م- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت.
3. ابن خلكان، أحمد، 1968م- وفيات الأعيان وأنباء الزمان. تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة.
4. الدغامين، زياد، 1995م- منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. دار البشير، عمان.
5. الرازي، فخر الدين محمد، 2000م- مفاتيح الغيب. الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
6. رشواني، سامر عبد الرحمن، 2009م- منهج التّفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقديّة. دار الملتقى، حلب، سوريا.
7. الزركشي، بدر الدين محمد، 1957م- البرهان في علوم القرآن. الطبعة الأولى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.
8. السيوطي، عبد الرحمن، 1396هـ- طبقات المفسرين. تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة: القاهرة، مصر.
9. الفراهي، حميد الدين، ١٣٨٨هـ- دلائل النظام. المطبعة الحميدية، الهند.
10. الفراهي، حميد الدين، 2008م- نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان. الطبعة الأولى، المطبعة الحميدية، الهند.
11. مسلم، مصطفى، 2000م- مباحث في التّفسير الموضوعي. ط3، دار القلم، دمشق.
12. المسعودي، منال مبطي حامد، ٢٠١٠م- التناسب في تفسير الرازي. الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة.
13. مير، مستنصر، 2017م- السورة وحدة نصيّة: تطور في تفسير القرآن في القرن العشرين، ترجمة: حازم محي الدين، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم الدراسات الدينية، الرباط. https://archive.islamonline.net/?p=5777